

شباب المدينة : بين التهميش والإندماج إقتراب سوسيوثقافي لشباب مدينة وهران

محمد فريد عزي*

مقدمة

الحديث عن الشباب والمدينة، يضعنا أمام أهم مكونات التغييرات الإجتماعية العميقة، العنيفة والمتسارعة في الجزائر. فتاريخ الجزائر الحديث - خاصة خلال العشرية الأخيرة- عرف أحداثا وحركات إحتجاجية سليمة وغير سليمة، كان للشباب فيها درو أساسي دفع بهذه الفئة للواجهة الإجتماعية و السياسية.

فالحديث الأكثر تعبيرا عن هذا الدور هو ما أصطلح على تسميته "بأحداث أكتوبر 1988" والتي هزت البلاد لمدة ثلاث أيام وأسفرت عن خسائر بشرية ومادية معتبرة¹.

* عالم إجتماع بمعهد علم الإجتماع، جامعة وهران/ باحث بمركز البحث في الأنثروبولوجية الإجتماعية و الثقافية.

¹ مظاهرات أخرى كان حضور و دور الشباب فيها كبيرا، سبقت أحداث أكتوبر 1988 وقعت في سنوات 1982 بوهران، 1986، في قسنطينة و سطيف ..إلخ المحاولة تنظيرية لهذه الأحداث راجع :

COLONNA, Fanny.- Sur le passage de l'émeute à l'attentat collectif (1978-1996).- in Monde arabe Maghreb-Machrek, N° 153-, 1996,- p.p. 40-47.

لأكثر تفاصيل حول أحداث أكتوبر انظر :

CHAREF, Abed. - L'Algérie, le grand dérapage,- Paris, Ed de l'Aube, 1994.
BOUKHOUBZA, M'hamed,- Octobre 1988, évolution ou rupture,- Alger, 1991.

إن الحركات الشبابية لم تكن ميزتها العنف دائما. ففي السبعينات مثلا كان الشباب وخصوصا الطلبة منهم، مهتمين بالسياسة بطريقة أكثر سلمية. تكررت هذه الحالة خلال الفترة القصيرة للانفتاح السياسي بين 1989-1991. حيث كان العنصر الشباني هي السمة الغالبة للعضوية في الأحزاب والجمعيات الجديدة. كما احتلت عناصر شابة مناصب قيادية في كثير من هذه التنظيمات. إضافة، نجد الشباب في مقدمة حملة العصيان والعنف الذي ميّز الأزمة السياسية ابتداء من سنة 1992.

إنه و بالإضافة إلى إرتباط الحركات الإحتجاجية في الجزائر منذ بداية الثمانينات بالعنصر الشباني، فالسمة الأخرى لهذه الديناميكية هو عنصر المدينة. فإطار تجلي ونمو الدور الإجماعي والسياسي للشباب هو المدينة. ففي بداية الثمانينات كانت المدن القبائلية مسرحا لحركة إجتماعية ثقافية عرفت "بالربيع البربري"، مظاهرات أكتوبر 1988 والتي مست مدنا عدة في نفس الوقت. زيادة على ذلك فالحركات الإجتماعية والسياسية المنظمة، كالحركات الإسلامية مثلا هي مدنية (نسبة إلى المدينة) الطابع².

شكلت هذه الأحداث والحركات، وخاصة ما تبعها من تطورات عنيفة، مادة لتعاليق وتحليل كثيرة، إهتّمت بالدرجة الأولى بالحركات الإسلامية، خطابها وتنظيمها، وكذا بالعنف السياسي. كما ركزت دراسات أخرى على العوامل الإقتصادية و الإجتماعية (البطالة، السكن، انخفاض في موارد الدولة) في تفسيراتها للأزمة الجزائرية.

قليل من هذه الدراسات إهتم بدور الفئة الإجتماعية الفاعلة في هذه التطورات والأحداث – الشباب – والتغيرات العميقة داخل

² حول الطابع المدني للحركة الإسلامية أنظر :

HADJ-ALI, Smail,- L'islamisme dans la ville,- Monde Arabe Maghreb/Machrek, 1^{er} trimestre, 1994,- p.p. 69-74.

المدينة التي ساهمت في إفراز أشكال من التغيير الإجتماعي والسياسي المميز لواقع الجزائر خلال هذه الحقبة.

فإذا كانت العوامل الإقتصادية و الإجتماعية الديموغرافية تشكل المقومات الأولية للأزمة الجزائرية، فالإقتصار على هذه المؤشرات وحدها، يكون إختزالا لواقع أكثر تعقيدا وتداخلا.

فظروف إقتصادية - إجتماعية مشابهة أو أسوأ لتلك التي تميز الجزائر، تسود في مجتمعات عربية وإسلامية أخرى لم تؤد إلى شدة وعمق الأزمة التي تعرفها الجزائر.

فالطريقة التي بواسطتها تفسر وتدرک هذه الظروف، وكذا شعور ومواقف الفاعلين الاجتماعيين (هنا الشباب) تجاه من يعتبرونهم مسؤولين عن شططهم واغترابهم، هي التي تحدد الشكل والحدة التي بواسطتها يعبر بها عن السخط أو الرضا. بمعنى آخر فالعوامل السوسيوثقافية تمنحنا فهما أوسع وأعمق للواقع الجزائري المعقد...

لهذا كله، سيكون هذا المقال محاولة لتسليط الضوء على بعض الجوانب من صيرورة التهميش وإدماج الشباب³ وذلك بالتركيز على عنصرين :

1- خلل التنشئة الإجتماعية في المدينة : من خلاله نحاول تبين عدم إستيعاب أطر ومؤسسات التنشئة الإجتماعية التقليدية داخل المدينة للتغيرات الإجتماعية الحضرية، وكيف أدت هذه الصيرورة إلى ظهور جماعات إجتماعية جديدة وجدت لنفسها - بعد فراغ - أطرا للتنظيم والتعبير جديدة ساهمت من خلالها في لعب دور اجتماعي وسياسي بارز.

2- الثقافة السياسية :

من أجل محاولة إقتراب تفهم سلوكات شباب المدينة تجاه النظام السياسي والسياسة بشكل عام، نتطرق في هذا الفصل إلى

³ إن مسألة التهميش هي ليست عملية مطلقة بل تقع وفق صيرورة جدلية : أي كلما حدث تهميش لفئة معينة تقابله محاولات للإندماج حسب طرق مختلفة.

الثقافة السياسية باعتبارها "مجموع المعتقدات، المواقف، القيم، المثل، المشاعر والتقييمات السائدة تجاه النظام السياسي لبلد ما، وكذا دور الفرد داخل هذا النظام".⁴

إن المسلمة النظرية لهذا الإقتراب هو أن مجموع هذه المكونات والعناصر الذاتية للأفراد تحدد إلى حد ما سلوكياتهم وأفعالهم. فانطلاقا من هذا نعتبر أن سلوكيات وأفعال الشباب الجزائري فيما يتعلق بالسياسة والنظام السياسي هي نتاج للظروف السيوديموغرافية وأيضا حصيلة لتمثلاتهم، قيمهم و مواقفهم تجاه النظام السياسي - بمعنى آخر هي نتاج للثقافة السياسية التي يحملونها.

"إن المعطيات التي سنستند إليها في تحليلنا في هذا الفصل هي معطيات لمسح ميداني للرأي العام في مدينة وهران أنجز في سنة 1955 لعينة تتكون من 1000 فرد، من بينهم 321 شابا (بين 18-30 سنة)، تنطوي استمارة هذا البحث على خمسة فصول : معطيات موضوعية عامة، الأسرة والمرأة، العمل، الدين، الثقافة السياسية...⁵

1- خلل التنشئة الإجتماعية

إن صيرورة التمدن، والتي إبتدأت خلال الحكم الإستعماري وتسارعت بعد الإستقلال كان لها آثار إختلالية على النسيج الإجتماعي. فعملية التحديث المركزية والسلطوية الغير مكتملة، والحركة العمرانية الغير مضبوطة، كان لهما كبير الأثر على أنماط الحياة الإجتماعية التقليدية و مؤسسات التنشئة الإجتماعية الحضرية في الجزائر.

⁴ DIAMOND, Larry.- Political culture and democracy in developing countries.- London, Boulder, 1994, p. 7.

⁵ أنجز هذا البحث في إطار شراكة علمية بين كل من جامعة وهران، و جامعة الرباط (المغرب) و المعهد الأمريكي للدراسات المغاربية (AIMS)

فهذه الأخيرة اعتمدت سياسات إسكانية فشلت في إدماج العدد الهائل من الوافدين على المدن.

إن صيرورات التفاعل الإجتماعي و التنشئة الإجتماعية في المدن كانت تنظمها مؤسسات إجتماعية مثل العائلة، جماعة الخلان، شبكة القرابة، المجاورة (Voisinage) وكذا مؤسسة الحي (quartier). فداخل هذه الأخيرة كان الشباب يقضون معظم حياتهم الإجتماعية... فالحي كان يشكل الوحدة الإجتماعية الأساسية داخل النسيج العمراني للمدن الجزائرية، والذي يضفي هوية خاصة للقاطنين به. فخلال المرحلة الإستعمارية لعبت هذه الأحياء دور الملجأ الإجتماعي الطبيعي للسكان الأصليين. بعد الإستقلال استمرت هذه الأخيرة في لعب دورها الإندماجي للسكان الوافدين. إلا أنه ونظرا لحركة التمدن السريعة المترامنة مع الهجرة الريفية خلال الستينات والسبعينات، ظهرت أحياء محيطية جديدة، و إليها جلب الوافدون الجدد أنماط عيشهم القروية، و قطنوا عادة بجوار عائلاتهم أو قرابة أناس ينحدرون من نفس مناطقهم⁶.

إن أغلب نشاطات الشباب وتفاعلاتهم الإجتماعية : منافسات رياضية، حفلات موسيقية ، الخ...، إتخذت من الحي السكني إطارا لها. فهذا الأخير لعب دور بوثقة للإنتماء و الإندماج الإجتماعي.

ولكن مع تردي الظروف الإقتصادية وتنامي الضغوط الديموغرافية وكذا تدني الخدمات العمومية، أصبحت جماعة الإنتماء (الحي) لا تفي بدورها كصمام للأمن وعليه بدأ التصدع في التكافل الإجتماعي.

⁶ لأكثر تفاصيل حول هذه النقطة أنظر :

BENATIA, Farouk.- Alger, Agrégat ou cité ?.- Alger, SNED, 1980.

فمن خلال بحث ميداني قامت به باحثه⁷ حول حي القصبه في الجزائر العاصمة، إستخلصت أن الحي أصبح لا يلبي مهمة الاندماج الإجتماعي، فقد تحول من مكان للتضامن الإجتماعي إلى مجال يقل فيه النظام والأمن، حيث ضعفت الروابط الإجتماعية و العلاقات العمودية التراتبية.

فصيرورة تلاشي آليات التنشئة الإجتماعية التقليدية أفسح المجال لبروز أشكال جديدة للتنشئة وظهور جماعات إجتماعية شبانية جديدة كذلك. فقد أصبح الشارع عوضا للحي، هو حجر الزاوية لنشاط هذه الجماعات الجديدة...

ففي بحث ميداني آخر، حول الحي القديم لمدينة قسنطينة⁸، تصل كاتبته إلى خلاصة مشابهة، حيث تذكر "أن الشارع الذي كان مكانا للتنشئة والتفاعل، مكانا مؤلّوفا حيث كانت كل زاوية منه تعبير عن شيء، أصبح حيزا للعزلة يخشى فيه الفرد عن نفسه، ومكانا للتهديد وتسوية الحسابات تسوده الإشاعات. قديما، كان المرء يتوقف فيه لتبادل أطراف الحديث مع الزبائن، أما اليوم فيتبضع ويمضي في شأنه... فيتفادى المكوث طويلا في المكان نفسه حتى لا يكون محل شك".⁹

في الجزائر ومنذ بداية الثمانينات ظهرت جماعات إجتماعية شبانية إلى الواجهة الإجتماعية. إن الفئة الأكثر تمثيلا لهذه الجماعات هي ما جرى تسميتها بـ "الحيّاطة"، وهم فئة شبانية يفتقرون إلى مصدر عيش قار ويمضون أغلب أوقاتهم متكئين على جدران البنايات، حيث يصفهم أحد السياسيين الجزائريين بنوع من الإزدراء، بأنهم "مخلوقات بشرية لا إرتباط لهم بأي جماعة إجتماعية، غير مكترئين بما يجري من حولهم" وأكثر من ذلك يقول "إذا كان

⁷ VERGES, Merième., La Casbah d'Alger : chronique de survie dans un quartier en surcis.- in NAQD n° 6, Alger.

⁸ BOUMAZA, Zoulikha, La rue dans le vieux Constantine : espace public, marchand ou lieu de sociabilité.- Oran, in Insaniyat n°2 - Automne 1997.- p.p. 27-46.

⁹ Ibid,- p. 32.

الكسل أم الرذائل، فإن "الحيطة" درجة أدنى. فهو الفراغ الكلي للروح. فهي نظرة إلى سيارات ولباس الآخرين ملؤها الشك... " فالحياط " مستعد لأي مغامرة، لأنه يعتقد إعتقادا راسخا أنه جرد من حقه. فهو يمقت الدولة التي لم تشغله ولم تأوه، فهو غير مستعد للإندماج في المجتمع. على العكس فهو يبحث عن سبل لمغادرتها أو الإنتقام منها¹⁰.

ليس كل الشباب المهمش يستند للجدران، فإن عددا كبيرا منهم في أعمال و أنشطة. في إطار الإقتصاد الموازي والمعروفين في الجزائر بـ « Trabendo » المهربين. فهذه الفئة تبدي حركية اجتماعية واقتصادية عالية، فطبيعة نشاطاتهم جعلتهم يحتكون بالعالم الخارجي من فرنسا إلى تايلندا، بقليل أو بدون تعليم، تعلموا كيف يدبرون أمورهم داخل النظام التجاري والجمركي العالمي المعقد. واكتسبوا من خلال ذلك مكانة إجتماعية داخل أحيائهم وعوائلهم، حيث أصبحوا هم المعيلين لها وبهذا وفي كثير من الحالات أزاحوا دور الأب أو الأخ الأكبر. إن أفراد هذه الفئة (المهربين)، كأقرانهم من جماعة "الحيطة" يخشون الدولة. فمن خلال نشاطهم اليومي يواجهون بإستمرار تحرشات أعوان الدولة ويجبرون على الرشوة من أجل البقاء.

من ضمن الفئات الإجتماعية الأخرى التي برزت في الثمانينات ما أطلق على تسميتهم بفئة (تشي-تشي). وهم ذرية الموظفين السامين، تجار أغنياء وصناعيين خواص يعيشون في ظل الدولة.

فهم بنمط حياتهم الظاهر والتفاخري، شحذوا من إحساس الفئات الدنيا باللامساواة.

¹⁰ ذكر في :

EL-AIDI, Abdelkrim.- jeunesse en Algérie, représentation et enjeux.- Inédit, 1995, p. 9.

ففي خضم التغيرات الإجتماعية العميقة التي أفرزت فاعلين إجتماعيين جدد، وطرق جديدة للوجود الاجتماعي وكذلك طلبات إجتماعية غير ملبات، فلا الدولة ولا المجتمع المدني إستطاعا تأطير الجماعات الإجتماعية الجديدة أو توجيه طلباتهم عبر عملية سلمية ..

أصبحت المؤسسات التقليدية بما فيها الحي عاجزة عن تلبية تطلعات وطموح الشباب أو التقليل من حدة إحباطاتهم. لقد نجحت الحركات الإسلامية حيث فشلت المؤسسات التقليدية في تأطير الجماعات الاجتماعية الشبانية. فبعد عملها داخل الأوساط الطلابية في الجامعة، ركزت الحركات الإسلامية جهودها على سكان الأحياء الشعبية و المحيطية. بهذا أنتقل مركز و مجال التفاعل الاجتماعي من الشارع إلى المسجد¹¹، حيث أصبحت تناقش داخله وإلى جانب الأمور الدينية، قضايا تمس المسائل المهنية، العائلية وحتى العاطفية. أصبح الإمام الشخصية الأساسية الذي يمنح نموذجا للسلوك يقتدي به الشباب، يعين لهم أهدافا وسبلا يتبعونها وخيالا و أساطير يسمون بها.

إن تنامي الحركات و الأحزاب الإسلامية بعد الترخيص القانوني لناشطها عظم من الهوية الاجتماعية للشباب المنخرطين داخل هذه الجماعات ومنحهم شعورا بالإستحقاق و القيمة. إن التجنيد الواسع للأحزاب الإسلامية، خصوصا بين فترة 1989-1991، عزز من شعور الإنتماء إلى "جماعة المؤمنين"، هذا الشعور الذي غطى وأحل محل التضامن التقليدي للجماعات الاجتماعية كالأسرة، القرابة، الحي وغيرها. إن قوة التنظيم الجديد برهنت على نفسها في عدة مناسبات، وخاصة خلال الإنتخابات المحلية والتشريعية (1990-1991)،

¹¹ حول أدوار مؤسسة المسجد و علاقتها مع الحركة الإسلامية، أنظر :
ROUADJIA, Ahmed.- Les frères et la mosquée.- Paris, Karthala, 1990.

حيث أن مرشحي الأحزاب الإسلامية تفوقوا على الآخرين بالرغم من أن هؤلاء كانوا أكثر تجدرا في أحيائهم ومدنهم. إن بعض المحللين¹² يعزون جزئيا، قوة الحركات الإسلامية في تلك الفترة إلى إرادة الأفراد في التخلص و الهروب من الضوابط التقليدية التي لا تترك مجالا للحياة الشخصية. فإن تبني الرموز و السلوكات الإسلامية من طرف العديد من الشباب فسر على أنه محاولة منهم للإفلات من هيمنة النمط الأبوي : ففجأة إكتسب الشباب مكانة إجتماعية جديدة و أصبحوا ينافسون سلطة الكبار. فالفتيات، بعضهن إرتدين الحجاب لتلافي النمط الذكوري المهيمن. فالشباب وجدوا إجابات لتطلعاتهم التي تمنح قيمة للأفراد المهمشين. فمن خلال إنتماء بعضهم للحركات الإسلامية أصبحوا مرئيين (Visibles) ومميزين (اللحية والقميص)، ونافعين (مساعدة العجزة، توزيع المعونات...).

مع ذلك فإن الهوية الجديدة المكتسبة تطرح مفارقة : فعندما يتخلص من روابطه القديمة يصبح عضوا في جماعة جديدة حيث لا مجال فيها للفروق والتعبير الفرديين. كانت هذه هي الوضعية السائدة حتى نهاية الثمانينات وبداية التسعينات، إلا أنه مع تقادم الأزمة السياسية منذ 1992، كان موقف الشباب متباينا : العديد إلتحق بالجماعات الإسلامية المسلحة واختار الإرهاب كوسيلة للانتقام من الدولة والمجتمع. أما الأغلبية فرجعوا إلى بيئتهم الأصلية بحثا عن وسائل للعيش والأمن. فمع استمرار تدهور المستوى المعيشي للفئات الشعبية لم تساعد هذه الوضعية الشباب العائدين، من هنا تعاظم الشعور بالوحدة والضياع، أدى إلى تزايد في نسب الانتحار و ارتفاع في نسب

¹² مثال على هذه الدراسات مجموعة المقالات المنشورة في كتاب :

LEVEAU, Remy (sous la direction de).- L'Algérie dans la guerre.- Paris, Ed, Complexe, 1995.

المتردددين على أقسام العلاج النفسي و زيادة في نسب المتعاطين للمخدرات¹³.

2- الثقافة السياسية الشبانية

قليل من الدراسات تناولت موضوع الثقافة السياسية في الجزائر، وهذا القليل المتوفر¹⁴ لا يقوم على معطيات أمبريقية، وإنما على تأويلات تأملية، لهذا يصعب تتبع تطور التغيرات على مستوى الثقافة السياسية مع غياب بنك أو مخزون للمعطيات يمكن الرجوع إليه للتحليل والمقارنة.

مع هذا فإن الذين كتبوا حول هذا الموضوع يؤكدون على مجموعة من الخصائص تمتاز بها الثقافة السياسية لدى الجزائريين:

أ- عدم الاهتمام،

ب- الإغتراب،

ج- الصراع الشديد في الثقافة السياسية عند النخبة.

مع هذا ورغم غياب معطيات تراكمية، فإن المتتبع للتاريخ الحديث للجزائر يمكنه تبيان نمط في الآراء والموافق السياسية في أربع مراحل :

أ- إن السنوات التي تلت الإستقلال تميزت بتماهي (Identification) مع النظام السياسي. فبعد حرب ثورية طويلة، جند السكان لمهام نادى بها النظام السياسي.

ب- بعد الإنقلاب العسكري سنة 1965، ظهرت أولى بذور المعارضة والنقد للنظام داخل النخبة الحاكمة وامتد ذلك لأوساط

¹³ Ibid.

¹⁴ حول المصادر الأنجلوساكسونية التي عالجت موضوع الثقافة السياسية من بين مواضيع أخرى على سبيل المثال :

QUANDT WILLIAM, B, -Revolution and political leadership : Algeria, 1954-1968. - Mit press, 1969.

ENTELIS, John P.- Algeria the Revolution institutionalized, - westview press, 1986.

طلابية يسارية. فبعد عمليات القمع الأولى نجحت السلطة في إمتصاص معارضيها في بداية السبعينات و منحهم مهام أيديولوجية/ ثقافية.

ج- إن أولى معالم المعارضة الشعبية للنظام السياسي ظهرت في أواخر السبعينات وبلغت ذروتها في أحداث أبريل 1980 (الربيع البربري).

د- كانت هذه الأحداث بداية لسلسلة من المظاهرات ميزت حقبة الثمانينات، حركتها في الغالب الفئات الشبانية الأكثر إغترابا.

- إن التغيرات السياسية التي جرت بين 1989-1991، حفزت على المشاركة السياسية والمتمثلة في التظاهرات السياسية الكثيرة خلال هذه الفترة، تزايد الجمعيات المدنية، الأحزاب السياسية، و المشاركة في الانتخابات.

- إن المسح الميداني الذي أنجز خلال المدة القريبة المنصرمة، في ظرف جو سياسي مشحون وأعمال عنف رهيبه، يبين مستوى متدني للمشاركة السياسية عموما وفي الحياة العامة. إن 6% فقط من المستجوبين خلال المسح ذكروا أنهم ينتمون إلى جمعية ما وأن 13% يشاركون في أنشطة ذات مصلحة عمومية. فبالرغم من تكاثر الجمعيات و الأحزاب منذ 1989 يبدو أن النساء و الرجال الجزائريين عادوا إلى اللامبالاة و السلبية السياسية و يمكن رد هذه الوضعية إلى حالة اللأمن و إلى الضوابط الجديدة المفروضة على الحياة السياسية (فرض حالة الطوارئ، منع المظاهرات والتجمعات...) إن ما يعزّز موقف الشباب من العزوف عن السياسة، هو اعتقادهم أن هذه الأخيرة أمر معقد لا يمكن للمواطنين العاديين فهمه، فأكثر من 64% من المستجوبين يتبنون هذا الموقف.

أما فيما يتعلق بمواقف الشباب تجاه النظام السياسي ف 38% يحملون تقييما إيجابيا تجاهه، في حين 51% يعتقدون أنه نادرا ما

يستجيب أو يهتم بطلبات و حاجيات المواطنين. فأغلب المستجوبين معينين بالدرجة الأولى بإعادة استناب السلم أكثر من أي شئ آخر. فهم يضعون هذا الطلب على رأس الأولويات التي يجب على النظام السياسي أن يحققها وذلك حين سئلوا أن يرتبوا حسب الأولوية من ضمن مجموعة من الحاجيات التي على السلطات تلبيتها¹⁵.

لقد تأكد هذا الموقف خلال الإنتخابات الرئاسية في نوفمبر 1995، حيث سجلت المشاركة نسبة غير متوقعة (75%). أغلب الملاحظين فسروا نسبة المشاركة العالية على أنها نداء للسلم ورفض للعنف... ما يمكن ملاحظته في هذا المجال هو أنه ليس هناك فرق كبير بين فئة الشباب وغيرهم.

فيما يتعلق بجانب آخر من الثقافة السياسية حاولنا التعرف على موقف الشباب من الممارسات و المؤسسات الديمقراطية، فيظهر من خلال الأجوبة أنه ليس هناك طلب مُلح على إقامة مثل هذه الممارسات و المؤسسات، فإن نسبة 18% فقط من المستجوبين أجابوا بنعم على "هل تعتقدون أنه من المهام المستعجلة أن يراعيها النظام السياسي هي إقامة وتطوير المؤسسات الديمقراطية".

أكد المستجوبون على هذا الإتجاه و ذلك بالإجابة على سؤال آخر يرتبط بالصفات التي يجب أن يتحلى بها رجال السياسة، ومن بين الصفات المقترحة في السؤال هي : التجربة، الأخلاق، العدالة، الالتزام، الإنفتاح على الأفكار السياسية، فلم يقع الاختيار على هذه الأخيرة إلا من طرف 17% من الشباب.

لا يمكن الجزم من هذا وحده و الاستنتاج أن هناك غياب لثقافة ديمقراطية وكذلك أن هذه الأخيرة محصورة في نخبة صغيرة.

¹⁵ في سبر للأراء أنجزته الجريدة اليومية "الوطن" في ديسمبر 1992 كانت الأولويات آنذاك لمشكلة التشغيل و السكن بـ 26% من الآراء، أما مشكل الأمن فجاء في المرتبة الأخيرة بـ 12%

مع هذا وبتحفظ، يمكن أن نقر أن هناك مؤشرات تبين أن الثقافة الديمقراطية ليست منتشرة بالشكل الكافي، و أحد المؤشرات، بالإضافة إلى ما سبق هو حصول الأحزاب الديمقراطية في الانتخابات التشريعية في جوان 1997 على نسبة منخفضة (12%) من مجموع أصوات الناخبين.

إذا كان إرساء قواعد الديمقراطية لا يشغل الجزائريين كثيرا في الظروف التي أنجز فيها البحث، فذلك ربما مرده إلى أن الديمقراطية لدى الكثيرين منهم إقترنت بالفوضى و كثيرا ما تلام على كل ما وقع في البلاد منذ أحداث أكتوبر 1988. فالانفتاح السياسي بعد هذه الأحداث، والذي عرف ميلاد أحزاب عديدة، ميزه كذلك نوع من الفوضى وغياب معايير العمل السياسي وكذا تخلى الدولة عن جزء من مهامها التنظيمية مما أدى إلى أحداث خطيرة : كالعصيان المدني وأحداث شغب أخرى، انتهت بإيقاف المسار الإنتخابي و بعده دخول البلد في موجة عنف و أعمال إرهابية خطيرة.

إن هذا الظرف دفع كثير من المواطنين إلى الإعتقاد أن الديمقراطية غير صالحة للمجتمع و ما هي إلا حيلة استخدمت من طرف النظام السياسي ليستمر في الحكم...

فأكثر من 50% رفضوا التعددية الحزبية، ويحملونها جزءا من الأزمة التي هزت البلاد. فإذا ظهر أن رفض القيم و المؤسسات الديمقراطية و آلياتها مرتبط إلى حد ما بالظروف السياسية و الاقتصادية للبلاد. فهذا الرفض لا يظهر أنه موقف مبدئي من الثقافة و المؤسسات الديمقراطية، فعندما سئل أفراد العينة عن النظام السياسي الذي يخدم أفضل مصالح مواطنيه، فإن أكثر من 65% عينوا أنظمة سياسية ديمقراطية غربية، تحتل فرنسا الصدارة بـ 39% و الولايات المتحدة الأمريكية بـ 14%. إن عامل السن يفسر بعض الفروقات في الإجابة عن هذا السؤال : فالبنسبة للفئة التي تزيد أعمار أفرادها عن الثلاثين سنة وضعوا فرنسا في الصدارة بنسبة 41% والولايات المتحدة

ب 11%، أما الفئة التي تقل أعمار أفرادها عن 30 سنة فأجابوا ب 36% و 21% على التوالي. هذا يعني أن هناك اهتماما متزايدا لدى الشباب بالانفتاح على أمريكا !

فالنظام السياسي الوحيد الغير غربي و الذي أتى ضمن إختيارات المستجوبين هو العربية السعودية ب (12%).

فهل هذه الاختيارات تعكس ميولا للأنظمة الديمقراطية أو هل تدل على إنجذاب الشباب إلى حالة الرخاء الإقتصادي التي يفترض أنها تسود في هذه البلدان ؟ فالمعطيات التي بحوزتنا لا تسمح بالإجابة الدقيقة عن هذا السؤال. إلا أن بعض الملاحظات الميدانية و الإستجابات المطولة مع بعض الشباب تفيد أنهم يثمنون في الأنظمة الغربية التقدم الإقتصادي، القوة وكذلك العدالة الإجتماعية و دولة الرخاء التي تمنح كل أنواع الكفالات الإجتماعية كالضمان الإجتماعي و علاوات البطالة و غيرها. كذلك من بين القيم السائدة في الأنظمة الغربية و التي تلقي تقديرا لدى الشباب هي قيم حقوق الإنسان، المسؤولية المدنية. ففكرة الديمقراطية مرتبطة في تصور الشباب بهذه القيم السالفة الذكر أكثر من أنها آليات لترتيب و إشغال المؤسسات السياسية.

فإذا كانت نظرة الشباب، مواقفهم و قيمهم لا توافق مواقف و قيم الثقافة السياسية الرسمية و لا تنطبق مع ما أصطلح على تسميتها في الأدبيات السياسة الغربية "الثقافة السياسية المشاركة"¹⁶ بمعنى الثقافة السياسية الحديثة، فهذا لا يعني البتة أنهم لا يملكون قيما و تصورات حول السياسة و النظام السياسي الذي يعيشون تحت ظله.

¹⁶ هذه مصطلحات مستخدمة من طرف إقتراب نظري للعلوم السياسية المقارنة في أمريكا بالخصوص أهم ممثليه :

ALMOND, Gabriel & SIDNEY, Verba,- The civic culture ; political attitudes and democracy in Five nations,- Princeton, 1963.

ففي الظروف التي تمر بها الجزائر، يؤكد الشباب على تصورات و قيم سياسية أخرى : العدل، النزاهة، المساواة، قيادة سياسية قوية... الخ.

فاتساع إنتشار الرشوة و الظلم الإجتماعي أتى على هذه القيم. فما يبتغيه و يثمنه الشباب اليوم كانت في نظر كثير من المواطنين وقتا للضياع حيث أن السياسة كانت تخدم المصالح الخاصة، و أن تناحر الفرق والعصبيات داخل السلطة أضعف من الدولة ومن هيبته.

فالحاجة الملحة لقيادة سياسية قوية، تبرز في إجابة المستجوبين الشباب عن سؤال "أذكر شخصيتين أثرتا في تاريخ الجزائر المعاصر" فإن أكثر الأسماء ترددا هي الأمير عبد القادر وهواري بومدين، فالأول نظرا لمقاومته الطويلة ضد الإستعمار والثاني لجهوده في بناء دولة الجزائر الحديثة. فعلى الرغم من أن فترة الثمانينات سادها جو أليين بالنسبة للحصول على المواد الاستهلاكية و حرية أكبر في التنقل، إلا أن لا أحد يذكر الشاذلي بن جديد الذي حكم البلاد في تلك الفترة.

فإن إبراز إسم هواري بومدين، يدل على ارتباط و تميمين الشباب لقيم العدالة الإجتماعية، القوة و الكبرياء الوطني، و التي ينسبونها إلى فترة حكم هواري بومدين.

إن ما يظفوا من خلال البحث في الثقافة السياسية عند الشباب الحضري، هو إستمرار لبعض الملامح و القيم الثقافية الأساسية. فالمساواتية (Egalitarisme) هي إحدى هذه العناصر التي تؤكد نتائج البحث الميداني و هي متجذرة في المقاومة الطويلة ضد الإستعمار و المضخمة بواسطة الأيديولوجية الشعبوية منذ الإستقلال. فقيمة المساواتية تعمل كآلية لنزع الشرعية عن السلطة و الثروة.

فأحداث أكتوبر 1988 مثلا لم تكن "مظاهرات الجوع" بقدر ما كانت تعبيراً عن مطالب للعدالة الإجتماعية و سخط ضد

الفروقات الإجتماعية المتنامية، فـ 82% من المستجوبين يرون أن الهوة بين الفقراء و الأغنياء قد تعاظمت.

فشعور الشباب من أنهم حرموا من الإستفادة من حقهم في الثروة الوطنية كان حافزا للرفض العنيف للنظام السياسي و النخبة الحاكمة، يسود شعور حاد بين المواطنين الجزائريين أن بلدهم غني جدا، و لكن نظرا لتقشي الفساد، الرشوة و عدم الكفاءة بين المسييرين، قد أفقر البلد...

فمرجعية السبعينات السياسية بالنسبة للشباب، رغم عدم معاشة أغليبتهم لهذه الحقبة، تبرز الحنين إلى دولة الرخاء «L'Etat providence» و القيم الوطنية، فقد يظهر إلى حد ما فيما سجلته بعض الأحزاب الوطنية الشعبوية في الإنتخابات التشريعية لجوان 1997، و المتمثلة خاصة في عودة حزب جبهة التحرير الوطني.

الخلاصة

عرفت الجزائر تحولات عميقة و سريعة خلال الثلاث حقب الماضية. كانت هذه التحولات نتيجة لسياسة تنموية شاملة يرجع الدور الريادي فيها للدولة. فركائز هذه السياسة التعليم الجماهيري، التمدن، و التصنيع.

تحققت خلال الحقبتين الأوليتين إنجازات استفادت منها كل الشرائح الاجتماعية وخاصة فئة الشباب بحيث تم إدماجها في المجتمع عن طريق توفير مناصب شغل و منحها دور سياسي. فكانت مرحلة لحراك إجتماعي سريع و تجنيد سياسي كثيف.

إن بروز الصعوبات الإقتصادية، و إستمرار الزيادة في نسب النمو الديموغرافي (على الأقل حتى منتصف الثمانينات)، إنتكاس في الحراك الإجتماعي و المهني، غياب إصلاح سياسي، و تعميق في التفاوت الإجتماعي، أدى إلى تهميش عدد كبير من الشباب، عبر هؤلاء عن اغترابهم و غضبهم بالنزول

دوريا إلى الشارع، والأخذ ممن ينظرون إليهم كمصدر
لتهميشهم.

فالتظاهر ليست الوسيلة الوحيدة التي يعتمدها الشباب للبحث
عن مكانة لهم داخل المجتمع. فاندماجهم الإقتصادي يسلك طرقا
صعبة فهم يستخدمون كل المصادر المتاحة لهم : العائلة،
الدولة، و الإقتصاد الموازي.

يتبنى الشباب مواقف و استراتيجيات توفيقية بين نماذج و قيم
ثقافية لكي يحققوا اندماجهم الثقافي... فهذه الإستراتيجيات التي
يحاول بها الشباب التوفيق بين نظام معياري و متطلبات
برجماتية خلقت توترات خصوصا عندما أبعدوا عن المساهمة
في المجتمع الاستهلاكي. إن أكبر الصعوبات التي تواجه
الشباب ترتبط بالاندماج السياسي، و هذا ما تجلى من خلال
التمثيلات والموقف التي عبر عنها في سير الأراء والتي تعكس
في جانب آخر مواقف و اتجاهات شعبية رافضة للنظام
السياسي.

إن المعضلة التي تواجه النظام السياسي الجزائري هو تزامن
طلبات ذات طبيعة مختلفة، فمن جهة تجابهه تطلعات
إقتصادية، إجتماعية، و من جهة أخرى تطرح عليه طلبات
ملحة للمشاركة و المحاسبة السياسية.

إن تطبيق الإصلاح الإقتصادي لم ترافقه سياسة إجتماعية
ملائمة و فعالة، مما زاد في تفاقم أوضاع الفئات الدنيا.

أما الإصلاحات السياسية فلم تنجح أو تعمل على إدماج
الشباب في المجتمع. إن ما يبعث على القلق هو أن أسباب
الغضب و العنف جزء كبير منها مازال قائما، و إذا لم يبذل
جهدا حقيقيا لاستيعابها فقد يكون التظاهر و العنف هو وسيلة
التعبير الوحيد المتبقية للشباب.

المراجع

CHAREF, Abed : L'Algérie, le grand dérapage.- Paris, Ed de l'aube, 1994.

BOUKHOUBZA, M'hamed : Octobre 88, évolution ou rupture ?.- Alger, Ed Bouchène, 1991.

HADJ-ALI, Smail.- L'islamisme dans la ville.- Monde Arabe-Maghreb/Machrek, 1^{er} trimestre, 1994.- p.p. 69-74.

DIAMOND, Larry.- Political culture and democracy in developing countries.- London, Ed Boulder, 1994. p. 7.

BENATIA, Farouk.- Alger : Agrégat ou cité.- Alger, SNED, 1980.

VERGES, Merièm.- La Casbah d'Alger : chronique de survie dans un quartier en survie.- in NAQD, N° 6

BOUMAZA, Zoulikha. La rue dans le vieux Constantine : Espace public, marchand ou lieu de sociabilité ? In Insaniyat n°2, Automne 1997.- p.p. 27-46.

ELAIDI, Abdelkrim.- Jeunesse en Algérie : représentations et enjeux inédit , 1995.- p. 9.

ROUADJIA, Ahmed.- Les frères et la mosquée.- Paris, Ed, Karthala, 1990.

MOUSSAOUI, Abderrahmane.- La mosquée au péril de la commune.- Document URASC, 1991.

LEVEAU, Remy (sous la direction de).- L'Algérie dans la guerre.- Paris, Ed. Complexe, 1995.

QUANDT, William B.- Revolution and political leadership : Algeria, 1954-1968.- Ed. M.I.T. press, 1969.

ENTELIS, John P.- Algeria : The revolution institutionalized-Colorado, Ed. Westview press, 1986.

ALMOND, Gabriel & VERBA Sidney - the civic culture : political attitudes and democracy in five nations.- Princeton , 1993.

BENNANI-CHRAIBI, Mounia. - Les représentations du monde des jeunes Marocaines.- Paris, I.E.P , Thèse de doctorat, 1993.

TESSLER, Mark.- The origins of popular support for Islamic movements, center for international studies of Milwaukee, 1994.